إضافة نوعية للمحترف التشكيلي المعاصر:

نادرة محمود واتجاهات التجريد الحديث

مسقط ـ «القدس العربي»

من أنور بدر:

لا بد لمن يزور عمان ان يلتقي بالفنانة نادرة محمود فقد غدت من المعالم الثقافية لمدينة مسقط، بعد ان جابت معارضها وشهرتها كل العواصم العربية واغلب المدن الاوروبية والامريكية.

صعدنا الى منزلها الكائن على رابية في اطراف حي القرم من مدينة مسقط المتجددة باستمرار، توقفنا امام حديقة غناء، فوجئت بنباتات الفل والكودنيا وقد ازهرت، وشجيرات الجهنمية وقد تألقت بنضارة ازهارها الحمراء، وفي الزوايا كانت احدى اصص الصباريات تحمل وردة بيضاء جميلة، واعتقد انه لو لا رطوبة شهر اب (اغسطس) لاعتقدت انني مازلت في دمشق، او في حديقة منزلي الصغير.

توقفت مع نادرة محمود في حديقتها مطولاً حدثتنا عن انواع النباتات عن الاصص التي لونتها بنفسها، وعن طقس العناية اليومية بهذه المساحة الخضراء التي تعكس حيوات جميلة تضاف الى اناقة ذلك المنزل المزدهي بالبياض من الخارج والداخل معاً. وكانت هي ترتدي ثوباً ابيض ايضاً، وكأنها تتماهى مع هذا المكان الذي يشكل مملكتها الاثيرة، فهنا تمارس حياتها اليومية، هنا ترسم وتطبخ وتهتم بافراد اسرتها الصغيرة، وهنا تعيش وحدتها شبه متبتلة في محراب الاسرة والفن بعد ان ملّت صخب الحياة وكثرة الاسفار.

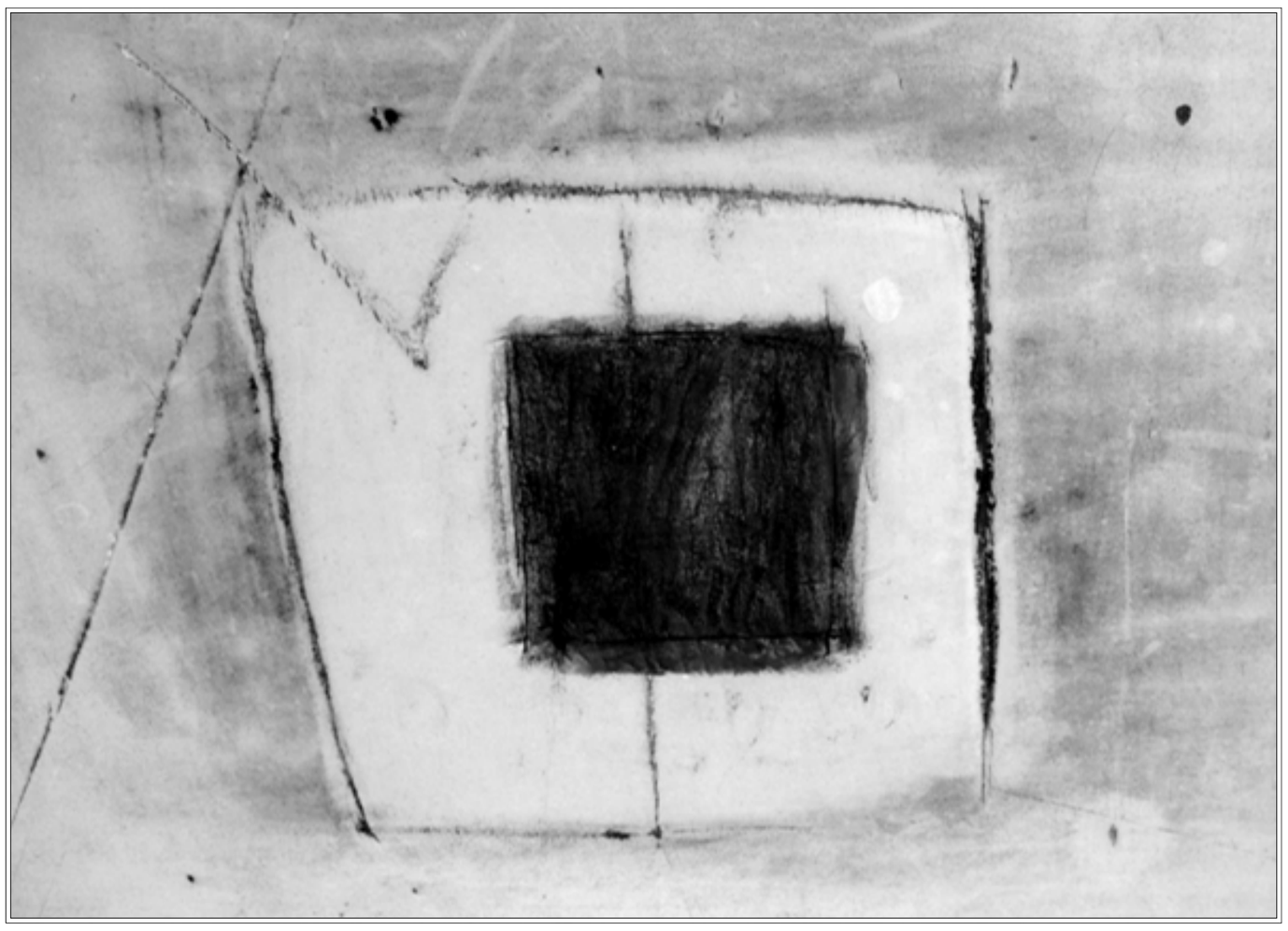

من لوحات الفنانة (القدس العربي)

بعد ذلك قمنا بزيارة فندق مسقط انتركونتيننتال حيث سبق للفنانة نادرة محمود ان افتتحت عام 1993 اول غاليري للفن التشكيلي باسم «رواق عمان» الذي عرضت فيه لكبار التشكيليين العرب من فاتح المدرس الى شاكر حسن اسماعيل فتاح نجا المهداوي وسواهم كما استقبلت فيه مثقفين عربا وعالمين كالمخرج روبرتو تشيلو سعدي يوسف، سركون بولص، فاضل عزاوي.. وتطول القائمة وفي هذا الفندق الجميل ما زالت لوحات نادرة محمود تزين صالاته وابهائه الواسعة تاركة على تلك الجدران مساحات للجمال والمعاصرة معا. تابعنا تلك اللوحات بشغف وحب، كانت تتحدث عن لوحاتها بحميمية ظاهرة حين قذفتنا شاشة احدى الفضائيات التي اطلت علينا الى الحدث اللبناني، ومشهد الدمار الحاصل في بيروت، ومن هناك بدأنا الحوار:

■ كيف ترى نادرة محمود ما يجري في لبنان؟

■ لا اعتقد ان احداً يختلف على طبيعة العدوانية الاسرائيلية، لكنّ شكل تجليها الهمجي وسياسة الارض المحروقة التي تسعى لابادة كل مظاهر الحياة، البشر والاطفال وحتى الشجر، يفضح البنية الهمجية لذلك الكيان الذي يدعي الحضارة والتفوق العلمي.

ان اسرائيل تملك من آلة الدمار ومن القدرة على استخدامها اكثر مما يملك العرب مجتمعين، لكن الدمار والحروب لا يمكن ان تصنع حضارة، وقتل الاطفال وتشريد العائلات وحرق المزروعات ليس حضارة، وانا لا اعرف كيف استطاع المجتمع الدولي ان يبقى صامتاً حيال ذلك، لكنني متأكدة بان المستقبل سيتيح للبشرية جمعاء امكانية اوسع وانبل لكشف الحقائق وتعرية الزيف الصهيوني.

لقد عشت في بيروت بداية السبعينيات حين كانت الاجمل في الوطن العربي والاكثر حيوية لكنها رغم الحرب الاهلية ورغم الاجتياحات الاسرائيلية المتكررة منذ عقدين ونيف، لا تزال قادرة على التجدد باستمرار وعلى النبض بكل ما هو جميل وانساني وكلي ثقة بان هذا البلد الذي عرف الحضارة الفينيقية ونشر الحرف على شواطئ المتوسط، سيعرف كيف يقوم من خرابه الحاصل كطائر العنقاء الذي ينهض من رماده متجددا.

■ بالعودة الى اعمالك التجريدية المعروضة هنا يستطيع المرء ان يلمس مشروعا لتجديد التجريد؟

■ ربما يكون ذلك ولكنني لا ادعي هذا فالتجريد منذ ان عرفته اوروبا مع كاندنسكي بداية القرن المنصرم وهو يتطور باستمرار، اذ انداح المحترف التجريدي المعاصر ما بين تجريد حركي واخر نقائي وثالث هندسي ثم تبقيعي وصولا الى فنون خداع البصر.

بالنسبة لي اعتبر الرسم والفن عموما خاضعين لقوانين البيولوجيا والتطور فانا ارسم تجريدا ولكنني ارفض اي ستاتيكية مدرسية لان الحياة تتطور والفن يتطور واي عمل او حركة تعني بالضرورة تغييرا بالمعنى الفيزيائي للعبارة وعلى هذا الاساس يتحدث النقاد عن تطور في شغلي ربما يقصدون الابتعاد عن صخب الالوان الحارة، ربما يتوقفون مع تكنيك التعامل مع اللوحة ... لكنني لم اتقصد ابدا من ذلك بل على العكس احب الاستسلام لمشاعري وعفويتي اثناء الرسم كما انني غالبا ما اشتغل بقوة وعلى اكثر من لوحة فيما يشبه السلسلة التي تسعى باستمرار وعبثا لترميم ذلك النقص الانطولوجي في وجودنا الانساني.

في هذا الاطار يأتي التطور ضمن منحى واحد وتعبير عن اتجاه صاعد يعزز رؤيتي الفنية واسلوبي التجريدي وانا اعتقد ان اي متابع لاعمالي يستطيع ان يدرك بسهولة انها تحمل توقيع نادرة محمود منذ المشاهدة الاولى لها، فهذا التطور يعبر عن نضج في التجربة وتراكم في الخبرة وعمق في الرؤية بآن معا. وهذا هو المبدأ البيولوجي ايضا.

نادرة محمود (القدس العربي)

فما بين معرضي الاول في عام 1989 وحتى الان مضى قرابة عقدين من الزمن امضيت تلك السنوات فيما يشبه ورشة عمل حقيقية للرسم اذ كنت ولا ازال اعتبر الرسم بمثابة الطاقة التي تساعدني على الاستمرار بالحياة وفي تلك السنوات اشتغلت باصرار على ممارسة الرسم بشكل متواصل، اشتغلت على التجريب وعلى زيارة المحترفات التشكيلية في العالم زرت كل المعارض الهامة اطلعت على الكثير من التجارب المتميزة واكتشفت تقنيات جديدة وطرقاً تعبيرية اغنت ذاكرتي البصرية وزودتني بطاقة عالية وجرأة على التجريب واكتشاف مساحات كانت مضمرة سابقا.

■ بمناسبة الحديث عن الطاقات الروحية فان مؤثرات صوفية شرقية تبدو واضحة فيما ترسمين من تجريد معاصر؟

■ اعتقد اننا في الثقافة العربية الاسلامية عرفنا اشكالا للتجريد قبل اوروبا وقبل كاندنسكي فالخلاف بين التشبيه والتنزيه يشكل الموازي المحلي والموضوعي للخلاف بين التشخيص والتجريد الغربي وليس التصوف الا شكلا للمعرفة يقوم على التجلي والحدس. واعتقد ان النتاجات الفنية لا يمكن ان تكون عقلية بالمطلق لان الفن بطبيعته حدسي يمتح من قدرات او مخازين اللاوعي الفردي والجمعي ليقدم رؤية للعالم والحياة والاشياء.

وقد عرفنا في الحضارة العربية والاسلامية اضافة للتجريد الصوفي نمطا اخر من التجريد هو التجريد الهندسي او الرياضي يقوم على استنطاق العلاقات ما بين الاعداد والاشكال الهندسية لكنه انحط الى نمط من الحرفية التي عرفت باسم «الارابيسك» وهي تقوم على استخدام وحدات هندسية او عناصر طبيعية تتكرر بشكل لانهائي وقد جرى توظيفها في الزخرفة والعمارة الاسلامية على نطاق واسع.

لكنني اعتقد ان حرية التعبير الذاتي واستقلالية العمل الفني يضعان التجريد ضرورة في خانة التصوف الشرقي خاصة اذا نظرنا للمسألة من زاوية العلاقة بين العمل والمتلقي باعتبارها حالة كشف جوانية وليست انعكاسا فيزيائيا للاشعة الضوئية على شبكية العين باعتبارها مركز الرؤية. نحن نحتاج الى نوع من مشاركة المتلقي الى التفاعل مع علامات الاستفهام وهذا ما يسمّى في اللغة الصوفية المكابدة او المجاهدة.

ربما يفسر ذلك سوء العلاقة بين الفن التجريدي والمتلقي الذي هو نتاج وسيطرة ثقافة تشبيهية تظهيرية تقوم على المنطق الصوري والذي ما زال مسيطرا في اغلب مظاهر ثقافتنا العربية المستريحة في الخانة التقليدية.

■ وكيف لنا ان نجسر العلاقة بيننا وبين العصر على ضوء هذه الخلفية؟

■ ان الحوار بيننا كعرب وبين العصر على المستويات الثقافية يكاد يكون مقطوعا وجلّ ما نطمح اليه هو ان نقدم شيئا من الفلكلور من الازياء والحرف وهذا قد يثير دهشة العالم وتصفيقهم لاول وهلة لكنه لا يمكن ان يجعلنا مشاركين في صنع الحضارة وفي رسم ملامح المستقبل الانساني.

السؤال الحقيقي لا ينطلق من رؤية الاخر لنا بل من كيفية رؤيتنا لذواتنا وما هي مفاهيم الاصالة التي تعبنا من الخلاف حولها منذ النهضة العربية المجهضة ايام الافغاني والكواكبي وحتى الان. هل نختزل اصالتنا بالعناصر الشكلية ونلغي كل القيم الاصيلة في حياتنا؟ ان اي طالب مدرسة يستطيع ان يرسم حصانا او عصفورا وحتى ثورا او منظرا طبيعيا، لكن السؤال: كيف نعبر عن مشاعرنا في الفرح او الغضب؟ كيف نعبر عن قيمنا في الحب والوفاء او الصدق والاخلاص؟ وعن حالاتنا في النشوة او الاكتئاب مثلا؟

دعني اقل لك انني عندما عرضت في اسبانيا او المانيا او باريس ودول اوروبية اخرى كان السؤال الذي يواجهني باستمرار مصحوبا بالدهشة: هل لديكم كعرب هذا المستوى المتقدم من الفن؟ وهل لديكم نساء يمارسن الرسم ويقمن المعارض؟

اعتقد انني حاولت جاهدة ان اقدم صورة مشرقة عن المرأة العمانية وعن الفن العماني بل العربي اذ كنت مصرة على تأكيد هويتي وانتمائي وبيئتي وثقافتي من خلال اعمال معاصرة اثارت دهشتهم واعترفوا باهميتها كاضافة للمحترف التشكيلي العالمي.

نحن الان كعرب غير مساهمين في صناعة الحضارة المعاصرة نعيش حاليا على هامش التاريخ والمساهمة الوحيدة في اثراء التجربة الانسانية وتطورها تأتي من بعض المثقفين والفنانين العرب كأفراد ليس الا.

■ هل لك ان تختزلي لنا اهم المؤثرات في تجربتك الابداعية؟

■ يمكن الحديث ببساطة عن مؤثرين مباشرين ومتتاليين المؤثر الاول كامن في الثقافة الصوفية التي شكّلت بالنسبة لي منهجا في فهم الحياة والفن بشكل خاص وقد تحدثت عنه، اما المؤثر الثاني فقد تجلّى بالبيئة العمانية وما تركته في الذاكرة البصرية من قوة التضاريس وتباين المساحات اللونية من منطقة لاخرى مع انني لا اخطط مسبقا لطريقة انجاز اللوحة وعدد الالوان المستخدمة فيها او نوعيتها بل اميل بطبعي لاستخدام عدد قليل من الالوان والتي جرى اختزالها لاحقا الى الوان ترابية او داكنة. كما ابتعدت بعض الشيء عن صراع الالوان الحارة مع الالوان الباردة واعتقد ان ذلك تم بتأثير تلك الذاكرة البصرية التي تشبعت من تضاريس عمان بجبالها ووديانها وبحرها وصولا لتأثير المناخ الرطب والسديمي صيفا، اضافة لتأثير الصورة التلفزيونية التي غزت الضائقة البصرية للمشاهد.

العيش على الإسفلت

عوني الجيوسي*

■ أتساءل أحيانا إن كانت قرابة عقدين من الاشتباك اليومي مع الورق قد أنبتت قلم رصاص بين أصابع عماد حجاج، أو أنها أبدلت أظافره بشباة ترشح بموهبة تفيض عن سعة الذراع. أتخيله أحيانا وهو يبري أصابعه على سطح مكتبه، قبل أن يستل من جلد راحته ورقه اليومي، وينطق رسماً بالجملة الغائبة عن صحيفة تغصّ بالكلام. ربما يبدو في هذا مبالغة مجازية، ولكن معذرتي أني أكتبه وأنا أقلب مجموعة قديمة من رسومات حجّاج عنونها ذات كتاب بالأبيض والأسوأ. يد ممتدة من تحت الركام تقبض على شارة التوحيد وحجر كتب عليه لا تصالح. بندقية تحتبل بها خارطة فلسطينية وحبل سري يصل خاصرة الوطن بخزان السلاح. عربي يعتلي لاءً خرسانية ويضربها بمعول صيغ على هيئة نعم مدببة الأطراف. تمثال الحرية الأمريكي وقد تقزم أمام مقلاع لا يخطىء عين الإسرائيلي وسكين حفظت خارطة ظهره. ورجل يتلفح بكوفية وقد سقط حجر من يدهِ بعد أن اخترق صدرهَ توقيعٌ أمضى من الرصاص. ليس في أي من هذه الرسوم تاريخ مكتوب، فهي رسوم فوق الأحداث لا يزيدها تصرم الزمن إلا إلحاحاً، فيما حمولتها من المعنى تتضخم كالسرطان. شواهد قبور كتب عليها قانا، وعلى مقربة منها حطام لمروحية إسرائيلية. من يصدق بأن هذه رسمت قبل عشر سنوات؟ وكأن التكرار سيد الأحكام في التاريخ العربي، وهو أمر على فداحته يجعل من كل شاهد على ما سبق نبوءة مشفرة على ما هو آت. في جو غرائبي كهذا، فإن الأسود وحده يختصر كل الألوان، ولاتزال أجمل أعمال عماد طوية هذا اللون الجنائزي الفريد. في كثير من هذه الرسوم، أكاد أرى حنظلة يطل بين الركام، يطل بين الأبيض والأسوأ. أكاد أراه يستعيد مساحة ورقه المغتالة، ويجد رسما يسند عليه ظهره. كم بقي لحنظلة اليوم من مساحة في رسوم عماد، أتساءل؟

أذكر أنني وفي معرض كاريكاتري لحجاج نُظم في العاصمة عمان قبل سنوات عدة، أذكر أنني جلت على المعروض وقد قسم حسب المواضيع. وعندما أوشكت على المغادرة، دخل فريق تصوير تلفزيوني، رسمي بطبيعة الحال. وبحاسة فريدة لا يملكها إلا أرباب الرسمية العربية، أشارت المذيعة التلفزيونية المرافقة إلى أخف الرسوم وزنا وأفقرها على الإطلاق بعد أن أشاحت سريعا عن جناح (الأبيض والأسود) لتنصب الكاميرا أمامها وتوقد قبالتها أعمدة الإضاءة الساطعة. يومها، تحسست قلبي جزعا على موهبة تتحوطها بيئة رسمية هي النقيض الحتمي لأبجدية الإبداع. وها أنا بعد تلك السنوات السبع، أجد أن الحق جانبني بنصفه، ووافقني بنصفه الآخر. إن المواهب الأصيلة لا يمكن أن تدمر، لكن اختطافها متاح على الدوام.

رسم تهكمي على الأمين العام لحزب الله في أولى أيام الغزو الإسرائيلي، تتبعها يد إيرانية ترفع شارة النصر بذراعين لبنانيتين داميتين. ماذا تبقى لرسامي إسرائيل كي يرسموه، وأين ذهبت السكين التي تعلو على التمثال الأمريكي، واليد المنتفضة من تحت الخرائب، وماذا تبقى من لا تصالح؟ تذكرت حينها رسماً قديما لحجاج مثّل فيه قنبلة ووجهاً عربيا غاضبا على هيئة أقنعة ساقطة، وبدا لي اليوم أن ما ينقص هذا الرسم هو قناع لقلم رصاص، سقط هو الآخر في أولى أيام عدوان منزوع الأقنعة. وكأن المعادل الكاريكتوري لصرخة شاعر لبناني فيّ غزو 1982 : أتيت يا جيش الخلاص، كأن المعادل الكاريكتوري لذلك النداء بُعث بعد أكثر من عشرين عاماً على يدي عماد حجاج، بعد أن هذّبه وحوّله من ترحاب بالغزو إلى تهكم بمقاوميه. نعم، لقد تحول ذلك التهكم لاحقاً إلى إشادة بمقاومة فقأت عين خصومها ولكن على نحو مواز لتحول في الموقف الرسمي الذي يبدو عماد متورطا فيه اليوم أكثر من أي وقت مضى. إن مقدمات هذا التغير في رسوم عماد حجاج كانت ظاهرة منذ أن تغيرت نبرة قلمه في القضية الفلسطينية، وتخلّى عن الدور الأهم الذي يلعبه الكاتب والرسام تجاه نضال بالغ الصعوبة ضد عدو خارق القوى: أن ينغض الرتابة عن صور ذلك الكفاح المتواصل، وأن لا يُعييه الشهيد الألف عن إعادة اكتشاف عبقرية الشهادة، رغم أن القاتل والمقتول وساحة الجريمة وأم الشهيد وبركة الدم كلها مكررة منذ ستين عاماً. هذا الدور الذي بلغ عماد ذروته في الأبيض والأسوأ، قبل أن يتحول إلى قضايا الإرهاب ويشرع في إفراز أيقونات حق يراد بها باطل تتبناها الأجهزة الرسمية بأعلى مستوياتها.

لقد أصبح اسم عماد حجاج مقرونا اليوم بشخصيته الهزلية المعروفة بأبو محجوب. وإن الأزمنة المختلفة لتفرز حقاً رموزاً مختلفة. فبعد أن كنا في طفل حافي القدمين يعطي العالم ظهره ويغرز وجهه الحرام في الورق وتفيض دلالته عن حدوده المرسومة، أصبحنا اليوم في كهل يجيد السخرية والضحك، وتتركز دلالته في الفوري والآني، ولا يتجاوز في رمزيته زاوية الصحيفة التي تحتضنه. ولربما أن تباين الأزمنة وحده ليس المسؤول عن هذا الاختلاف، فلميلاد الرموز آليات بالغة التعقيد، وقد تكون مديونيتها لقيم المبدئية والجرأة أكثر بكثير من مديونيتها للمواهب. وكأن هذا الصبي الذي وجد إكسير الطفولة في دم خالقه لم يكن له أن يستمر لولا أن صاحبه ذهب بقلمه إلى أقسى حدود المواجهة، وارتضى بما سماه الأبنودي في قصيدته المهداة لناجي العلي، بالموت على الإسفلت، وبشهادة مبكرة في شارع لندني بعيد.

لقد تجنب عماد حجاج هذا المصير، وها هو اليوم وقد أشاد «مؤسسة إبداعية» تتوزع أعمالها بين رسوم القضايا الكبرى والشركات والترويج والإعلان. هل الفقر والموت غاية للمبدع المناضل؟ كلا، ولكنها تبدو في هذا الزمن الرديء شرطاً مأساوياً له. رحمك الله يا ناجي.

* كاتب من فلسطين

انتصار المقاومة اللبنانية يلقي بظلاله على حفل أربعينه:

بيت الشعر ولجنة الطوارئ الثقافية وجمعية اللد يحيون أربعين الفنان إسماعيل شموط

■ رام الله ـ «القدس العربي»: نظم بيت الشعر الفلسطيني ولجنة الطوارئ الثقافية وجمعية اللد الاجتماعية بالتعاون مع المركز الأسقفي العربي حفل الأربعين لذكرى رحيل الفنان إسماعيل شموط. وقد افتتح الشاعر مراد السوداني، رئيس بيت الشعر الفلسطيني، الاحتفال بكلمة (بيت الشعر) قائلاً: في الوقت الذي تدنو فيه الأرض من وجعها العميم، رحل إسماعيل شموط تاركاً لنا مساحة للأمل واكتمال الصورة التي ما زال وميض لونها مشتعلاً مثل جلنار الدم، وعتبة النزال الفعال.. ترك لنا إسماعيل شموط الفداء والتضحية، وما هو عفي ونقي..

ترك اللوحة سيرة ومسيرة تقدم تاريخ شعبنا الذي يصر على الحياة والبقاء في وجه عدمية الغزاة وقبح ما أنتجوه على أجساد البلاد والسنابل والصغار من أفانين الموت، ومستحدث التدمير والإلغاء.

ويضيف السوداني: لإسماعيل نقف ومن على جبل عامل وقفة نسور المواجهة، يحدقون في النصر المحمول على دمهم المجيد، وأكفهم البيضاء من غير سوء، وصوتهم العالي والهادر والمتمكن أيضاً، فطوبى لإسماعيل ذكرى البقاء.. وطوبى لمن قدّ من روحه لوح العناء القادر والقادم.

في الخامس عشر من حزيران (يونيو)، حضر الطبيب الجراح ليشرح لإسماعيل شموط عن عملية القلب التي ينوي إجراءها له، فقال له شموط: يا دكتور أنا فنان فلسطيني، وأحب شعبي كثيراً.. ثمة لوحتان أرغب في إكمالهما، قبل العملية.. وضع الطبيب يده على ركبة شموط، وقال له: أعرف من تكون لشعبك، وأعرف أهميتك وشهرتك العالمية، وأنا فخور أن أكون طبيبك، لكن دعنا نفكر معاً أن تعود لترسم بقلب سليم أفضل من أن ترسم بقلب مريض.. في اليوم التالي كانت العملية، ونجحت .. لكن الزمن توقف.. هذه الحكاية قصها يزيد إسماعيل شموط، في كلمته، مساء الإثنين الماضي التي ألقيت في ذكرى أربعين الفنان إسماعيل شموط.

وخاطب يزيد روح والده بقوله: توقف الزمن بعدك يا والدي، لكن شعبك لن يتوقف.. سنكون معك دوماً وأبداً ليتحقق حلم شعبنا بالنصر والعودة.. بلوحتك استطعت أن تبقي لنا وللجميع ذاكرة ما ألم بشعبنا من مآس وآلام عجزت الكاميرات عن توثيقها، وأبقيت على حلمك بالنصر والعودة، إذ كان همك الحفاظ على الهوية الوطنية فجعلت من لوحاتك وطناً يعيش فيه كل من شاهدها أو اقتناها.

وكان الحفل بدئ بكلمة الرئيس محمود عباس ألقاها يحيى يخلف، رئيس المجلس الأعلى للثقافة والفنون، نيابة عنه، وقال فيها : الحديث عن إسماعيل شموط، هو حديث عن جيل العمالقة، الجيل الذي خرج من جرح النكبة، من جرح النفي والاقتلاع والشتات، فحفر بأظافره الصخر، واستطاع أن يجمع الشتات، ويعيد ترتيب الأشياء، ويعيد الاعتبار إلى الشخصية الوطنية، وإلى الهوية الفلسطينية، ويؤسس لحركة وطنية جديدة بأبعادها السياسية، والكفاحية، والاجتماعية، والثقافية، معبراً باللون والريشة عن ملامح المأساة والنكبة، وملامح الحلم الآتي، حلم التحرير والعودة، فكانت لوحاته المعبرة عن الهوية، وعن مرارة الواقع، وعذوبة الأيام الجميلة التي لم تأت بعد، عن سر الليل المتفق عليه بين خطوات الفدائي وزهور الحنين، عن النشيد الكامل، وفجر الاستقلال، وعن سيمفونية الصمود والأمل.

وفي كلمته نيابة عن المثقفين الفلسطينيين، قال الشاعر المتوكل طه: إسماعيل شموط اسم من أسماء فلسطين المحببة، الذي جعل النكبة والعرس والثورة ذاكرة باقية تفوح بألوانها على ألواح الرواية التي لم تكتمل..

وإسماعيل شموط الذي دمروا الأشياء من حوله، لم يستطيعوا أن يدمروا روحه، فانتصبت ريشته كالمنارة التي تؤذن للبقاء.

وألقت نتائج المعارك الحربية بين حزب الله وإسرائيل، التي فشلت في تحقيق أهدافها، وخرج لبنان منتصراً بتوحده، على أجواء وكلمات الحفل، فقال طه: شموط يهنأ الآن في ترابه بعد أن انقلب السحر الأسود على كوندوليزا رايس، وعادت بصفر مكعب سنه مجاهدو لبنان من عظام القتلة، بعدما هجست واهمة أن حزب الله سيخرج من الحرب بـ«تربل زيرو»، لكنه يبدو حزيناً لأن فلسطين النظام خذلت فلسطين الإبداع، فلا «غاليري» دائماً مفتوحاً لعروش اللوحات، ولا دار وطنية للنشر والتوزيع، ولا جوائز، أو منحاً تفرغ أو مؤسسة للترجمات، ولا معهداً للمسرح، ولا منصة، ولا فرقة، ولا موازنة، ولا يحزنون، كأن ما لدينا هو فرضية أو فكرة لم تكف السنوات الطويلة التي قدت بالدم، والعرق، والفجائع، فأية مفارقة.

من جهته، تحدث سمير براغيتي، رئيس جمعية اللد الاجتماعية، عن حلم شموط بتأسيس مركز الفنون التشكيلية في فلسطين، لينشئ من خلاله جيلاً من الفنانين الفلسطينيين، مطالباً السلطة الوطنية ممثلة بوزارة الثقافة، ومنظمة التحرير ممثلة بلجنة الثقافة، بضرورة العمل على تحقيق حلم شموط، على أن يحمل المركز اسمه، ويتحول إلى متحف يضم لوحاته وأعماله، فيما تحدث الفنان كريم الدباح، في كلمة أصدقاء الفنان عن مشوار حياة شموط منذ ولادته وحتى رحيله.

وفي كلمة لجنة الطوارئ الوطنية، قال الفنان جواد إبراهيم: دخل شموط الحركة الفنية لا ليخرج منها، وإنما ليبني عليها، ومن خلالها. له فيها من البراعة ما يضيف إلى اعماله جمالية فذة تستدعي التأمل فيها مرة بعد مرة .. استطاع إسماعيل شموط عبر وعيه وآرائه وحسه العالي التفاعل مع أوضاع الإنسان، والخوض في أعماقه وأحاسيسه، فعكس على القماش مفهوم النزوح، والعطش، والقهر، والأمل، ورائحة الوطن بانطباعية وتعبير، بعيدة عن التزين، ما أكسبها أهميتها الإنسانية النابعة من معاناته وتجربته .. لم يلتفت إسماعيل إلى تنظيرات فنية تدعي المعاصرة، وتحاولها، رغم معاصرته وحداثته .. عاد شموط بالروح، واللون، والذاكرة للبلاد المنهوبة والعالية فثبتها على اللوحة بالقاني والحر من شلال النار الذي يسيل من خاصرة الوطن.

وقد دعا المشاركون في الاحتفال إلى ضرورة تأسيس أكاديمية إسماعيل شموط للفنون التشكيلية لحفظ تراث الراحل وتحقيقاً لحلم قديم طالما راود الفنان الراحل بتأسيس هذه الأكاديمية ، مَنْ يقرع الجرس؟